ســـــاميا

ساميا

امتلأ الميكرو بالركاب، إلا ثلاثة مقاعد لا تزال خالية وذلك لأن وجهتها إلى الخلف، لا يرغب فيها الكثيرون، يظنون أن الميكرو يمشي إلى الوراء، وربما يؤدي بهم ذلك إلى الدوخان.

غير أن وجود بنت حلوة جدًّا ناعمة جدًّا قد يغير بعض المعايير، وربما يتزاحم الركاب على هذه المقاعد غير المرغوب بها أصلاً. خاصة أن هذه البنت تبدو شهية وتلبس فستانًا كُحليًّا لصيقًا بجسمها، يرتقي إلى ما فوق الركبتين شبرًا تقريبًا.

يصل شاب لاهثًا يبدو أنه قد رآها من بعيد ثم أسرع للفوز بهذا المقعد وربما لم تكن وجهته مطابقة وجهة هذا الميكرو. ومنذ صعوده يبدأ بمحاولة إغرائها بالنظر إليها مباشرةً، غير أنها لا تكترث له ولا تكاد توليه أدنى انتباه، وكأنه غير موجود أصلاً، يتجاوز حانقًا إلى أقصى مقعد قرب الشباك، خاصةً أنه رأى الركاب وخاف أن تكون حركته مع البنت واضحة للجميع وربما تسبب له الإحراج، يستطيع ببراعة أن يسترق نظرة إلى الفخذين، ثم يبدأ بخطة للإيقاع بها، يأخذ بمداعبة شعره الطويل مع التدقيق بين الحين والآخر في ردة فعل باقي الركاب.

لا يلبث أن يصعد رجل سمين أصلع يتعرق كثيرًا، يغطي صلعته بغرة طويلة لونها عسلي، يحمل أكياسًا، ولمفاجأته بهذا الجمال الأخاذ يجلس مقابلها، دون أن يثير أدنى صوت ولا يكاد أن يحيد بنظره عنها لحظة.

ثم يصعد أخيرًا رجل كهل أشيب مجدور كده العمر، منتصف شاربه أصفر. وبصعوده يكون على السائق أن يمضي لاكتمال الركاب.

يمضي الميكرو.

ما أن يغلق الرجل الأشيب المجدور الباب، بعد محاولتين، حتى تلتفت الحلوة الناعمة إليه ، وتسمر عينيها المتجمدتين الحالمتين في وجهه، فيمضي بعينيه إلى الشارع خارج الشباك معتقدًا أن الأمر لا يعدو أن يكون نظرة عابرةً، غير أن بياض الفخذين البضين اللذين لمحهما عند صعوده، يدعوه إلى صب عينيه بنظرة سريعة جدًّا. تحلو له اللعبة، يراقب انشغال باقي الركاب، يسرق نظرة أُخرى أطول نسبيًّا من الأُولى، وتقفز الشهوة إلى وجهه، يحاول إخفاءها بكف يده، يتمتم بكلام غير مفهوم، ثم يغامر بنظرة ثالثة يمرر يديه على رجليه وكأنه يدلكهما، يتنهد، يعود إلى التمتمة ويرفع نظره إلى وجه البنت نظرة احتقار ويده على وجهه، يصطدم بهذا التحديق المتواصل والوقح في عينيه مباشرة! يملأ عينيه قلق مغاجئ، يبعد نظره عنها ويدور به على جانبيه بحيرة وكأنه يبحث عن شيء ما، يتمتم للمرة الثالثة وقد فقد كل سيطرة على نفسه، يحمر وجهه، فهي لا تزال ترسل سهامًا مباشرة من عينيها الخارقتين، يضغط على ساعده عند الساعة لفترة، يبدو أن ارتفاعًا بالضغط قد أصابه، يتلون وجهه وينقلب بين البرتقالي والأحمر والبني وكأن الحياة عادت إليه، تتسرب ضحكة عريضة من بين شاربيه الأصفرين، وترتقي كفه لتلامس أنفه وصولاً إلى ذقنه وهو بكامل الرضا ووجهه مليء بالفخر، ثم يكسر نظره ظنًّا أن الركاب قد لاحظوا شيئًا ما، فيغرس عينيه بحذائه مع محاولة كمش الحدقتين التي تغامران بين الحين والحين في النظر إلى فخذي البنت.

أما الآخران فلا يفتأان حانقين أشد الحنق يُقلِّبان النظر بازدراء واحتقار وقرف بين الحلوة الناعمة وبين الرجل الأشيب المجدور. ولم يكد الشاب يوقف محاولاته المتكررة في إغرائها والإيقاع بها، فلم تترك يده طوال الوقت تحريك شعره، ولم غادرها عيناه لحظة، حتى أصاب أخيرا باليأس. فلِمَ يحدث شيء كهذا وهو الشاب والوسيم؟! ينفخ بشدة

ويقرر أن يهجرها ويحيد عنها إلى الأبد، يسترق نظرة أخيرة إلى الفخذين، يلتفت بنَزَق، يفتح الشباك ويحاول أن يشغل نفسه عن خيبته بمراقبة حركة الشارع.

لا يكون من الحلوة الناعمة إلا أن تلتفت لتمعن النظر إلى الشاب الحردان الغافل عنها، فيستشيط وجه المجدور الأشيب غضبًا، ليعود إلى التمتمة ويستعيذ بالله، ثم يتناول مسبحته من جيبه، ويأخذ بذكر الله بصوت منخفض، وقد ارتسم عليه مباشرة صورة الشيخ التقي الورع، ويجبر نفسه على النظر من النافذة مُدعيًا بأنه غير مكترث على الإطلاق.

يقرأ الشاب آرمات الدكاكين وأرقام السيارات، ويشغل نفسه بها مُصممًا على قراره في أن يزدري الحلوة الناعمة وألا ينظر إليها على الإطلاق. ولكن لا بأس في استراق نظرة، نظرة واحدة إلى الفخذين، فلا خسارة في ذلك، وما أن تقع عيناه على الفخذين، حتى يتحركا قليلاً، وكأن صاحبتهما تحاول إغراء من ينظر إليهما، يرتقي بنظرة مُرفقة بكثير من الازدراء والاحتقار ظنًّا منه أنها لا تزال تغري ذلك الرجل الهرم، فيصطدم بعكس ذلك تمامًا، بنظرتها الجامدة الحالمة بعهر ووقاحة مفرطة، لا يلبث أن يعود الهدوء والرضا والقبول، بل عدم التصديق فيما يراه، لقد نجحت خطة الازدراء، لِمَ لَمْ تخطر على باله منذ البداية؟ يتحرك عدة حركات عشوائية، ثم يهدأ ويتنهد،ويرتاح على الكرسي، تتمدد عضلات وجهه وتنفرج تمامًا، وتحلق ابتسامة مع حركة ملاطفة أعلى الخد، وعندما لا يجد ردًّا، يلجأ إلى يده فيحك خلف أذنه ويبقى مسرور جدًّا.

كان وجه الأصلع الحانق يتحول طيلة فترة إعراض الحلوة الناعمة عنه إلى الأصفر، وها هو يزرقُّ عندما يرمق الشاب الظافر وقد صار وجهه أقرب ما يكون إلى الموت، ينظر إلى ساعته ثم إلى الطريق ثم

ينفخ، ينحني ويقلب محتويات الأكياس التي معه، وتفلت الغرة العسلية الطويلة وتلامس أعلى كرشه، يثير ارتطام أكياس النايلون صوتًا تلتفت الحلوة الناعمة مباشرة إليه، وتسمر عينيها هذه المرة على الأصلع، ثم تحرك طرف شفتها السفلى فينم ذلك عن ابتسامة، يصطدم بابتسامتها إليه، فيرفع الغرة المسترسلة بسرعة ويعود وجهه إلى الحياة والشباب ويحمر مباشرة، يعلق على وجهه ضحكة من أول وجهه إلى آخره، يحك رأسه الأملس نتيجة الإفراز المتواصل للعرق الذي أخذ يتصبب، ثم يلجأ إلى منديل يتناوله من جيبه، يمسح كامل الوجه والغرة فيظهر وجه مرتاح وكأنه بهذه الحركة قد أزال كل المشاعر السيئة.

يتحرك رجل كهل جالس بجانب الحلوة الناعمة يهيئ نفسه للنُّزول، ثم يتكلم مع الشوفور، يطلب منه التوقف عند الموقف، ينْزِل، يتناول من جيبه عصا مطوية يفردها على طولها، يتكلم الحلوة الناعمة التي لم تلتفت إليه إلى الآن:

- سامية

ترد البنت وهي تحاول أن تتجه صوب الصوت:

- نعم أبي

- وصلنا، هاتي إيدك

تقف الحلوة الناعمة وهي تلوح بيدها باحثة عن شيء تستند إليه، وتحاول تلمس الطريق، يمد أبوها يده بالعصا ويضعها في يدها، ويمسك المجدور بيدها التي اصطدمت بركبته، ويوجهها إلى النُّزول.

تمسك يد أبيها وتمشي بجانبة وهي تطرق بعصاها على حجارة الرصيف، بينما تتبخر ملامح الرجال الثلاثة وتتلاشى، أفواهم مفتوحة، وجوههم مزرقة، عيونهم جاحظة، ينظرون شاخصين إلى صوت ضربات العصا، وكأنها تطرق على جماجمهم.